﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ٤٢﴾ [طه: 42]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الـــرَّبـــطُ بين مرحلة التّربية والـتّـهـيـئـة، ومرحلةِ البلاغ والتّكاليف

لَمَّا عدّد اللّهُ ﷻ في الآيات السَّابقة المِنن على موسى ﷺ؛ جاءت هذه الآية بذِكر الأوامرِ والنّواهي إعلانًا بِبَدء الرّسالة.

ومنها: أنّه لَمَّا دعا موسى ربّه في الآيات السَّابقة أن يَشُدّ أزرَه بأخيه هارون، واستجاب اللّهُ له؛ أمرَه بعدَ ذلك بأن يُسارع هو وأخوه هارون ﷺ بالذّهاب إلى فرعونَ؛ ليبلِّغاه ما أمرَهما اللّهُ بتبليغه إيَّاه، فقال: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَلَا تَنِيَا﴾: (ونى) أَصْلٌ يَدُلُّ على ضَعْفٍ، يقال: ونَى يني ونْيًا ووُنيًّا إذا ضَعُفَ، وقولُك: قد تَوانى فلانٌ في هذا الأمر، أيْ: قد فتر فيه وضَعُفَ، والواني: الضَّعيفُ[2]، والوَنا: الفَتْرَةُ في الأَعمال والأُمور، والتَّواني والوَنا: ضَعْفُ البَدَن[3]، يُقالُ: أَوْنَيْتُهُ: أَتْعَبْتُهُ[4]، والمُراد بالآية: الضَّعفُ والفتور والتَّراخي في الأمر، أي: لا تَنِ أَنْتَ وأَبْلِغْ هارونَ أَنْ لا يَنيَ[5].

2) ﴿ذِكۡرِي﴾: أصلُ الذِّكْرِ الحِفْظُ الَّذي تَذْكُرُه، وهو خِلافُ النِّسيان[6]، ثُمَّ حُمِلَ عليه الذِّكْرُ باللِّسانِ، ويَقولونَ: اجْعَلْهُ مِنْكَ على ذُكْرٍ، بِضَمِّ الذَّالِ، أَيْ لا تَنْسَهُ، والذِّكْرُ: الصّيتُ والثَّناءُ[7]، والذِّكْرُ:

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 289.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ونى)، والزّجّاج، معاني القرآن: 3/ 357.
(3) ابن منظور، لسان العرب: (ونا).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ونى).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 223، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 106.
(6) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (ذكر).
(7) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (ذكر).

الصَّلاةُ، وقِراءَة القُرْآن، والتَّسبيحُ، والدُّعاء، والشُّكْرُ، والطَّاعَة[1]، والذِّكْرُ في الآية: يَجوزُ أَن يكون بِمَعْنى التَّذَكُّر بالعَقْل، ويَجوزُ أَنْ يَكونَ الذِّكْرَ باللِّسانِ، فإنَّ ذِكرَ اللّه فيه معونةٌ على جميع الأمور، يسهِّلها، ويخفِّف حَملَها[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ذِكْرُ الله تعالى كما في الآيات، فيه معونةٌ على جميع أمور الحياة

يبيّن اللّهُ تعالى في هذه الآية ما كَلَّف به موسَى وهارونَ عليهما السلام، فيقول: اذهَبْ - يا موسى - أنتَ وأخوكَ هارونُ بأَدِلَّتي ومُعجِزاتي الدَّالَّةِ على صِدقِكما، ولا تَضْعُفا عن ذِكري، بل داوما عليه[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة فصل هذه الآية عمَّا قبلها:

كمال الاتّصال أو شبهه، من بليغ البيان وقصده

فُصِلت هذه الآيةُ عن سابقتها؛ إمَّا لأنّها بيانٌ لقوله تعالى فيما مضى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [طه: 24]، فيكون بينهما كمال الاتّصال، أو هي استئنافٌ بيانيٌّ مسوقٌ لبيان ما هو المقصود بالاصطناع[4]؛ لأنّ قوله: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾، يُؤذِن بأنّه اختاره وأعدّه لأمر عظيم؛ لأنّ الحكيم لا يتّخذ شيئًا لنفسه إلَّا مُريدًا جَعْلَه مَظْهرًا لحِكْمته، فيترقّبُ المُخاطَب تعيينَها[5]، فيكون بينَ الجملتين شِبهُ كمالِ الاتّصال.

سِرّ التّعبير بلفظ ﴿ٱذْهَبْ﴾، ودلالتُه:

التّعبير بالذّهاب أنسبُ للسّياق، لإيجاب البلاغ عن الله

إيثارُ التّعبير بالذَّهاب دون غيره، مناسبٌ لكون الجملة بيانًا لجملةٍ سابقةٍ، أُمِر فيها بالذّهاب إلى فرعونَ؛ وهي قوله تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [طه: 24]، وأيضًا لما في معنى الذّهاب منَ المُضيِّ في نضارةٍ وبهاءٍ وحُسْنٍ، ومنه سُمّي الذّهبُ ذهبًا[6].

(1) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة: (ذكر).
(2) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 506.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 16/ 72، 73، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 506.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 17.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 223.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ذهب).

والأمر في قوله: ﴿ٱذۡهَبۡ﴾ للوجوب[1]، ويُفهَم منه أن يَذْكُرا اللّه تعالى بمجرد الأمر بالذّهاب، وليس بعد الوصول، أي: اذكُرا في أيّ جهة تحرَّكتُما وتنقَّلتُما، وهذا يُفهَم من ذِكره بعد الأمر بالذَّهاب، فإنّك إذا قلت: سِر ولا تنسَ، فالمراد في مُدّة مسيرك[2].

دلالة التّعبير بضمير الفصل ﴿أَنتَ﴾:

تَعيّنُ الضّميرِ بما ورد به التّنصيص، يرمي إلى التّأكيد والتّخصيص

التّعبير بضمير الفصل ﴿أَنتَ﴾، دالٌّ على تأكيد كونه مأمورًا بالذّهاب أمرًا متعيِّنًا عليه، وأُفرد لكونه هو وحدَه الّذي خوطب بهذا الأمر؛ لأنّ هارون ﷺ لم يكن حاضرًا حين كلّم اللّهُ موسى في البقعة المباركة منَ الشّجرة، ومعنى ذلك: أنّه يجب أن يبلّغ أخاه أنّ اللّه أمره بمرافقته[3].

دلالة العطف في قوله: ﴿وَأَخُوكَ﴾:

سِرّ العطف بالواو في قوله: ﴿وَأَخُوكَ﴾، هو أن يكون أخوه مُشاركًا له في الذّهاب إلى فرعون، مُحَمَّلَين برسالة ربّهما إلى فرعون.

سِرّ ذِكر فعل الذّهاب، مع موسى دون هارون:

سياق الخطاب يَذْكُر مَن حضر، ويطوي من غاب

لم يذكر القرآنُ الكريم فعلَ الذّهاب مع هارون، كما ذكره مع موسى ﷺ، فلم يقل: (وليذهب أخوك)؛ لأنّ موسى ﷺ هو المقصودُ بالاصطناع، وهارون لم يكن موجودًا معه وقتَ هذا التّكليفِ في هذا الحوارِ الّذي كان بين موسى ﷺ وربِّه، على ما يظهر من سياق الآيات.

سِرّ التّعبير بالأُخوّة، دونَ العلميّة أو الوَصْفيّة:

الأُخـوّة تُشعِر بالـدّفء والشّفقة والمؤازرة

جاء التّعبير القرآنيّ بالأُخوّة في قوله: ﴿وَأَخُوكَ﴾، دون العلميّة (هارون)، أو الوصفيّة (الرّسالة أو النّبوّة)؛ إشعارًا لموسى بوشيجة القُربى الّتي طلبها ﷺ في قوله: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 223.
(2) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 6/ 201.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 223.

أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه: 29 - 36].

دلالة الباء في قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِي﴾:

البُروز للدّعوة بصحبة الآيات المعجزة، سندٌ وقوّة

دلّت الباءُ في قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِي﴾ على المصاحبة، أي: اذهبا بصحبة آياتي، مُتلبِّسَين ومُتَمَسِّكَين بها في إجراء أحكام الرّسالة، وإكمالِ أمر الدّعوة، لا مجرّدَ إذهابها وإيصالها فقط[1]، بل مُتَلَبّسَين بها في عرض دعوتِهما على فرعون؛ لأنّهما لو ذهبا إليه بدون آيةٍ معهما لم يلزمه الإيمانُ، وذلك من أقوى الدّلائل على فساد التّقليد[2].

سِرّ التّعبير بشِبه الجُملة ﴿بِـَٔايَٰتِي﴾:

مَن صَحِب آياتِ الله في التّبشير، كان معه من الله ظهيرٌ

عبَّر القرآنُ الكريم بقوله: ﴿بِـَٔايَٰتِي﴾ دون غيرها؛ لأنّها تشمل الأدلّة والحُجَجَ، وهو المناسب هنا في أمر الدّعوة من موسى وأخيه لفرعون؛ لأنّ الغرض منها تطمينُ موسى وأخيه بأنّهما سيكونان مُصاحبَين لآيات الله، أي: الدّلائل الّتي تدلّ على صدقهما لدى فرعون[3].

دلالة ﴿بِـَٔايَٰتِي﴾ على التّعبير عن اليد والعصا:

في اليد والعصا معانٍ أثيرةٌ، وبراهين ساطعةٌ منيرةٌ

عبّر القرآن الكريم بقوله: ﴿بِـَٔايَٰتِي﴾ عن اليد والعصا؛ لأنهما وإن كانتا اثنتين ففي كلّ واحدةٍ منهما آياتٌ شتَّى؛ فإنّ انقلاب العصا إلى حيّةٍ آيةٌ، وكونها ثعبانًا عظيمًا آيةٌ أخرى، وسرعة حركته مع عِظَم جِرمه آيةٌ أخرى، وكذا اليد فإنّ بياضها في نفسه آيةٌ، وشعاعَها آية، ثمّ رجوعَها إلى حالتها الأولى آيةٌ أخرى[4].

دلالة الإضافة في قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِي﴾:

غاية الإضافة إلى الضّمير الدّالّ على الله، تأكيدُ عَظَمة آياته وهداه

الإضافة في قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِي﴾ هي إضافة تشريفٍ وتعظيمٍ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 17.
(2) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 22/ 51.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 223.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 17.

لهذه الآيات، وهي كذلك لأنّها معجزاتٌ باهراتٌ من ربّ الأرض والسّموات.

دلالة الواو في قوله: ﴿وَلَا تَنِيَا﴾:

عطفتِ الواوُ جملةَ ﴿وَلَا تَنِيَا﴾، على جملة ﴿ٱذْهَبْ﴾، وكلاهما طلبٌ، ولذا صحّ الوصل.

سِرّ التّعبير بـ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ دون (ولا تَضْعُفا):

أوثِر التّعبيرُ بالنّهي عنِ الوني في قوله: ﴿وَلَا تَنِيَا﴾؛ لأنّ المعنى: (ولا تفتُرا ولا تضعفا)، يقال: ونى يني ونيًا، أي: ضعُف في العمل، والوَنَى: التَّعَبُ، يُقالُ: أَوْنَيْتُهُ: أَتْعَبْتُهُ، وامرَأَةٌ وناةٌ، إذا كانَ فيها فُتورٌ عِنْدَ القيامِ[1]، ومِن ثَمّ فالنّهي عنِ الوَني، هو نهيٌ عنِ الضّعف وما هو أدنى منه، كالفتور، ولذا أوثِر التّعبيرُ به دونَ التّعبير بالضّعف.

النّهي عن الوني، نهيٌ عن الضّعف وما دونه، وكلاهما مستقبح

وأيضًا؛ لأنّ الوَني يحمل معنى التّقصير، والمراد هنا النّهيُ عنِ التّقصير في البلاغ عنِ اللّه؛ لأنّ الذّهاب إلى فرعون الطّاغية ليس أمرًا سهلًا؛ فدواعي الوَني موجودةٌ من ناحية الضّعَفِ أو التّقصير؛ لخوف موسى وهارون من ناحية، وطغيانِ وجبروت فرعون من ناحيةٍ أُخرى؛ لذلك كان التّعبيرُ المناسب لإزالة عوامل الفتور والتّقصير، هو التّعبير بقوله: ﴿وَلَا تَنِيَا﴾.

سِرّ التّعبير بالتّثنية ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ دون الإفراد:

جاء التّعبيرُ القرآنيّ بالتّثنية في قوله: ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ دون الإفراد، كما في قوله: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾؛ لأنّه لمّا كان موسى ﷺ مأمورًا بأن يبلِّغَ أخاه بأنّه مرسلٌ معه، صحّ النّهي حينَئِذٍ بضمير التّثنية، باعتبار موسى وهارون ﷺ، والمعنى: (لا تَنِ أنتَ، وأبلغ هارونَ أن لا يَنِ)، فصيغةُ النّهي مستعملة في حقيقتها ومجازها[2]، أمّا الإفراد في

اشتراك هارون مع موسى في دعوة فرعون، علّةٌ لخطابهما معًا

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ونى).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/ 223.

قوله تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾؛ فلأنّ المخاطَب كان واحدًا، وهو موسى عليه السلام، وعُبِّر بالتّثنية من باب التّغليب؛ حيثُ غُلّب الحاضر على غيره؛ فموسى كان حاضرًا، وهارون كان بمصر؛ لذا رويَ أنّه أوحي إلى هارون وهو بمصر، أن يتلقّى موسى عليه السلام، فسمع بإقباله فتلقّاه[1].

دلالة التّعبير بالظّرفيّة ﴿فِي﴾:

الاستغراق في ذكر الله يقوّي الرّوح، ويرقّق الفؤاد

دلّ التّعبير بحرف الظّرفيّة ﴿فِي﴾ على توجيه الرّسولين الكريمين إلى استغراق كلّ أوقاتهما بالذّكر؛ وسوفُ يقوّي ذِكْرُ الله فؤادَهما بالاطمئنان، فلا يأبهانِ بفرعون ولا بغيره، فمن يذكرُ اللّهَ ولا يَفْتُر عنه، هو في معيّة الله، ومَن كان في معيّة الله يَعِشْ مطمئنًا به، ولذا قال سبحانه: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرّعد: 28].

دلالة التّعبير بقوله: ﴿ذِكۡرِي﴾:

استغراقُ الذّكر لكلّ أفراد العبادة، وسيلةٌ للقُرب والتّزكية

أوثِر التّعبيرُ بلفظ ﴿ذِكۡرِي﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي﴾؛ لأنّ معناه شاملٌ لكل أنواع الذّكر، فيدخل فيه الذّكر باللّسان وبالقلب، وبالطّاعة وعدم المعصيّة؛ ولأنّه يقع على جميع العبادات، وهو أجلُّها وأعظمُها، والمعنى: (لا تنسَياني حيثما تقلَّبتُما، واستمِدَّا من ذِكْري العونَ والتّأييدَ، واعلما أنّ أمرًا منَ الأمور لا يتأتّى ولا يتسنّى إلّا بذِكري فيما أمرتكما ونهيتكما)[2]، والمراد: أن يكون اللّهُ تعالى حاضرًا في كلّ أحوالهما، وألّا ينسيانه لحظةً، فيُقابَلَ النّسيانُ بالتّخلي؛ وهو ما حَذّر اللّهُ عنه بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ [الحشر: 19]، وقوله: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾ [التّوبة: 67].

دلالة الإضافة في قوله: ﴿ذِكۡرِي﴾:

الاصطبار على الذّكر وملازمته مسلكٌ للقُرب، ووسيلةٌ للزّلفى إلى الله

أضاف اللّهُ سبحانه الذّكر إلى نفسه في قوله: ﴿ذِكۡرِي﴾؛ لما له مِن عظيم الأثر في الدّعوة إليه؛ وهو ما حمل موسى وهارون عليهما السلام

(1) الجَمل، حاشية الجمل على الجلالين: 3/ 93.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 17.

لأن يجعلاه جناحًا يطيران به؛ لأنّ الأمر الّذي وُجّها إليه لا يصلح إلَّا بمداومة الذّكر والاصطبار عليه؛ فهو باب التّرقّي إلى المقامات العالية، والعروجِ إلى مظانّ الزّلفى، ولا يحصل ذلك إلَّا بملازمة الذّكر لله، بما يليق به منَ الصّفات الجليلةِ، والأفعال الجميلة، وذلك عند تبليغِ رسالته والدّعاءِ إليه[1].

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 10/ 175.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»